

د. محمد البويسفي
عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

القدوة الحسنة في القرآن الكريم: المفهوم والمقومات والمنهج

Exemplary in the holy Qur'an: notion
,importance and fundamentals

د. محمد البويسفي¹

باحث في الدراسات القرآنية- المغرب

ملخص البحث

للقدوة دور مهم في حياة الأفراد والجماعات، وهي أحد المؤثرات الأساسية في مسار حياة الناس، ودافع نحو التغيير والإصلاح، وعنصر مهم في إعداد الأجيال عبر الأزمان، وتكوينهم تكويناً علمياً وتربوياً، بما يصلحهم ويصقلهم، ويؤهلهم لتحمل مسؤولية التكليف وأداء أمانة الاستخلاف وعمارة الأرض على مناهج النبوة.

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم الأنبياء باعتبارهم نماذج بشرية راقية، تمثل الكمال البشري في الحياة الدنيا، وجعلها قدوة ومنازة للناس، ف أمر سبحانه وتعالى بالافتداء بها، فقال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)². لما

¹ - اسم ولقب الباحث: د. محمد البويسفي، المغرب، البريد الإلكتروني: bouyesfy@gmail.com

² - الأنعام 90

د. محمد البويصري
عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

يتوفر عليه هؤلاء الأنبياء والصالحون من مقومات وأسس القدوة الحسنة. كما حث الله تعالى في كتابه الكريم على الاقتداء والتأسي بنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة بقوله: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)¹.

أما أهمية القدوة فتتجلى بالنظر إلى حال المسلمين اليوم، نجد الحاجة ماسة إلى القدوة الحسنة، لتقتدي بها الأجيال الناشئة من أبناء المسلمين، تنير لها الطريق، وتكون عوناً للمشتغلين بالتربية والإصلاح. خاصة في زمن ضاعت فيه القدوة، وفسد الاقتداء، فاتخذ الناس من ليس بأهل للقدوة: علماً وأخلاقاً، ففسد الذوق وضاع المعنى.

فكان الرجوع إلى القرآن والسنة لازم، من أجل البحث عن صفات القدوة الحسنة ومقوماتها. وأفضل قدوة هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لما اتصف به من صفات الكمال البشري، حتى أثنى الله تعالى عليه في القرآن الكريم، وزكى أخلاقه صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)²، وزكى دعوته صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)³.

¹ - الأحزاب 21

² - القلم 4

³ - الشورى 52

د.محمد البويسفي عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

وجاء هذا بحث ليعالج مفهوم القدوة الحسنة في القرآن الكريم،
وأسسها ومقوماتها، ثم يقترح منهاجاً للاقتداء كما كمطابقاً من القرآن
الكريم.

الكلمات المفتاحية: علوم القرآن، التفسير الموضوعي، الدراسة المصطلح

ABSTRACT

Key words: Quran science, objective interpretation, term study,

Exemplary has an important role in the life of individuals and groups, it is one of main influences in people life ,it is an important motivation for changing and reforming, it is a good item for preparing the generation through ages in a scientific and educational way to qualify them for holding the responsibility of mandate and trust of succession and inhabitation the earth. Allah instructed his worshippers to follow the prophets and the righteous people because they have the fundamentals of good pattern , Allah says :{they are those whome Allah had guided .so follow their guidance say : "No reward I ask of you for this (the Qur'an) .it is only a reminder for the Alameen (Man kind and jinns"} Al-Anaam.90. Also , Allah instructed his worshippers to follow our prophet Muhammed (PBUH)in the holy Qur'an saying:{there has certainly for you in the messenger of Allah an excellent pattern for anyone whose hope is in Allah and the last Day and who remembers Allah often}.Al-Ahzab.21. In this time

, Muslims are in urgent need to a good pattern to be emulated by the new muslim generation and a good pattern helps people who are engaged in education and reforming, so the prophet Muhammed (PBUH) is the best pattern because he has the quality of human perfection even Allah praised him and his manners in the holy Qur'an saying: {And surely you are of great moral character }AlQalm.4. Also Allah praised his attitude saying : {And surely you guide to a straight path}Al-Sura. 52. Thus, this research aims to reform the notion of exemplary, its importance and its fundamentals according to the holy Qur'an and curriculum of following the prophet Muhammed (PBUH) . This research belongs to the first focal point of focal points of conference. Goals of the research as follows:

- Goals of the research :
 - explanation of the notion of exemplary and fundamentals in the holy Qur'an.-
 - explanation of importance of following and its positive effects on the life of individuals and the society .
 - suggestion of ways for effective following manners of the prophet Muhammed (PBUH).

مقدمة:

للقدوة دور مهم في حياة الأفراد والجماعات، وهي أحد المؤثرات الأساسية في مسار حياة الناس، ودافع نحو التغيير والإصلاح، وعنصر مهم في إعداد الأجيال عبر الأزمان، وتكوينهم تكويناً علمياً وتربوياً، بما يصلحهم ويصقلهم، ويؤهلهم لتحمل مسؤولية التكليف وأداء أمانة الاستخلاف وعمارة الأرض على مناهج النبوة.

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم الأنبياء باعتبارهم نماذج بشرية راقية، تمثل الكمال البشري في الحياة الدنيا، وجعلها قدوة ومنازة للناس، ف أمر سبحانه وتعالى بالافتداء بها، فقال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)¹. لما يتوفر عليه هؤلاء الأنبياء والصالحون من مقومات وأسس القدوة الحسنة. كما حث الله تعالى في كتابه الكريم على الاقتداء والتأسي بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة بقوله: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)².

¹ - الأنعام 90

² - الأحزاب 21

د.محمد البويسفي عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

أما أهمية القدوة فتتجلى بالنظر إلى حال المسلمين اليوم، نجد الحاجة ماسة إلى القدوة الحسنة، لتقتدي بها الأجيال الناشئة من أبناء المسلمين، تنير لها الطريق، وتكون عوناً للمشتغلين بالتربية والإصلاح. خاصة في زمن ضاعت فيه القدوة، وفسد الاقتداء، فاتخذ الناس من ليس بأهل للقدوة: علماً وأخلاقاً، ففسد الذوق وضاع المعنى.

فكان الرجوع إلى القرآن والسنة لازم، من أجل البحث عن صفات القدوة الحسنة ومقوماتها. وأفضل قدوة هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لما اتصف به من صفات الكمال البشري، حتى أثنى الله تعالى عليه في القرآن الكريم، وزكى أخلاقه صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)¹، وزكى دعوته صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).²

وجاء هذا بحث ليعالج إشكالية ماهي القدوة من حيث مفهومها ومقوماتها في القرآن الكريم؟ ومنهج الاقتداء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم؟

الدراسات السابقة

¹ - القلم 4

² - الشورى 52

د.محمد البويصري
عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

بعد البحث والاستقصاء عثرت على مجموعة بحوث حول القدوة الحسنة، منها: بحث "القدوة الصالحة وأثرها على الفرد والمجتمع"، للد.عصام العبد زهد وأصله أنه مداخلة تقدم بها صاحبها إلى اللقاء الدعوي الأول بعنوان "الشخصية الدعوية المؤثرة"، سنة 2010م غير أن موضوع البحث غير محصور في القرآن الكريم، وإنما القدوة بصفة عامة وركز الباحث على بيان أثرها على الفرد والمجتمع

وبحث "الأسوة الحسنة في القرآن الكريم، وتطبيقها في السيرة النبوية"، الدكتور عماد الدين الرشيد، منشور في مجلة دمشق سنة 2010م. تناول البحث مصطلح الأسوة الحسنة في القرآن الكريم، من خلال عرض المواضيع التي ورد فيها ذكر الأسوة الحسنة، ومن خلال السياق الذي وردت فيه. ثم طبق الباحث ما توصل إليه في مفهوم الأسوة الحسنة على سيرة النبي محمد. لذلك فهو يشغل على جانبيين النظري هو القرآن الكريم والجانب التطبيقي السيرة النبوية، والبحث قيم في بابه، لكن اشتغاله على مجالين جعله غير مفصل ولا مستوعب لتفريعات المفهوم في القرآن الكريم

أما بحث "الاقتداء بالأنبياء بين القرآن الكريم والكتاب المقدس دراسة مقارنة"، منشور في مجلة جامعة طيبة للأدب والعلوم الإنسانية، العدد الرابع سنة 1435هـ. والبحث كما هو واضح من العنوان يهدف إلى بيان الفرق بين الاقتداء في القرآن والاقتداء في الكتاب المقدس، وهو بعيد عن الدراسة الموضوعية.

د. محمد البويصري
عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

أما بحث المنهج التربوي القدوة للدكتور يوسف الأمين يوسف،
ومنشور في دراسات دعوية العدد الرابع عشر، سنة 2007م، فهو يركز
على القدوة باعتبارها منهجا تربويا، وغير معني بالدراسة المفهومية أو
الموضوعية.

وهناك بحث قيم للدكتور مبارك جميل بعنوان "القدوة الحسنة وأثرها في
تخليق الحياة العامة"، وأصله درس مقدم ضمن الدروس الحسنية التي يشرف
عليها ملك المغرب ألقى سنة 2012م وهو بحث قيم غير أنه ركز في بحثه
على أثر القدوة الحسنة في تخليق الحياة العامة.

فهذه البحوث تغطي مجالات من القدوة الحسنة، لكن بقيت
الدراسة المفهومية المرتكزة على القرآن الكريم، وأرجو أن يكون بحثي هذا
يغطي هذا الفراغ أو يكمل بعضه.

ولذلك جاء هذا البحث ليعالج مفهوم القدوة ومقوماتها ومنهجها
في ضوء القرآن الكريم، ومنهج الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم..
ويهدف إلى: بيان مفهوم القدوة ومقوماتها في القرآن الكريم، وبيان أهمية
الاقتداء وآثاره الإيجابية على حياة الفرد والمجتمع، ثم يقترح سبيلا من أجل
اقتداء فعال بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم.

وفيما يلي خطة البحث:

د.محمد البويسفي عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

- مفهوم القدوة الحسنة في القرآن الكريم
- أسس ومقومات القدوة الحسنة في ضوء القرآن الكريم
- منهج الاقتداء في القرآن الكريم

المحور الأول: مفهوم القدوة في القرآن الكريم

1- تعريف القدوة:

القدوة مشتقة من الجذر اللغوي "الْقَدْوُ" وهو أصل بنائها الذي يَتَشَعَّبُ منه تصريف الاقتداء، يقال قَدْوَةٌ وَقُدْوَةٌ لما يُفْتَدَى به، والقِدَّة: كالقِدْوَةِ، يقال: لي بك قَدْوَةٌ وَقُدْوَةٌ وَقِدَّةٌ، والقدوة: الإسوة، والقُدْوَةُ والقِدْوَةُ ما تَسَنَّتَ به...¹

جاء في معجم مقاييس اللغة: (القاف والبدال والحرف المعتل أصل صحيح يدل على اقتباس بالشيء واهتداء، ومقادرة في الشيء حتى يأتي به مساويا لغيره. من ذلك قولهم: هذا قدى رمح، أي قيسه. وفلان قدوة: يقتدى

¹ - انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة قدا - دار صادر - بيروت - الثالثة - 1414

د.محمد البويسفي عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

به¹. والناظر في المعاني اللغوية للقدوة يجدها تدور على: الاقتداء والتأسي والتسنن.

وإذا انتقلنا إلى المعنى الاصطلاحي كما ورد في القرآن الكريم، فنجد العلماء والمفسرين يحددون معاني متقاربة للقدوة، فهذا الراغب الأصفهاني يعرفها بكونها: (هي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً وإن قبحاً، وإن ساراً وإن ضاراً؛ ولهذا قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)²، فوصفها بالحسنة³. فالقدوة ليست في الاتجاه الإيجابي دائماً، بل تكون في الاتجاه السلبي أيضاً، ولذلك قيدها الله تعالى الآية بالحسن. وهو ما نبه إليه الشنقيطي في تفسيره بقوله: (الأسوة كالقدوة، وهي اتباع الغير على الحالة التي يكون عليها حسنة أو قبيحة)⁴

¹ - معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، دار الجيل، سنة النشر: 1420هـ / 1999م . 66/5

² - الأحزاب 21

³ - المفردات في غريب، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - 1412 هـ. ص 76

⁴ - أضواء البيان للشنقيطي، دار الكتب العلمية، بيروت. 93/8

د.محمد البويصري
عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

وإذا رجعنا إلى تفسير الطبري فنجد الاتباع مرادف القدوة، حيث يقول: ("الاقتداء" في كلام العرب، بالرجل: اتباع أثره، والأخذ بهديه. يقال: (فلان يقدو فلانا) إذا نحا نحوه، واتبع أثره، (قده، وقدوة وقدوة وقدية)¹، أما الواحد ي فعر ف فعل الاقتداء بأنه طلب الموافقة فعل القدوة، قال الواحد ي: (معنى الاقتداء في اللغة: طلب موافقة الثاني للأول في فعله للثاني بمثل فعل الأول لأجل أنه فعله)، ونجد ابن عاشور يعرف القدوة : (والقدوة هو الذي يعمل غيره مثل عمله، ولا يعرف له في اللغة فعل مجرد فلم يسمع إلا اقتدى)².

فالقدوة هو النموذج والمثل الذي يُحتذى به، والمقتدي هو الشخص الذي يتبع ويطلب موافقة فعله لفعل القدوة، فالقدوة تتجه من أعلى إلى أسفل، والاقتداء يتجه من أسفل إلى أعلى. أما الإساءة فهي حالة وهيئة التي يكون عليها الإنسان. وقد قيدت القدوة والإساءة بالحسنة، ومقياس الحسن هو الشرع، فما حسنه الشرع بنصوصه ومقاصده ومصالحه فهو الحسن، وما قبحه فهو القبيح، وبذلك تُحسم مسألة المعيارية في موضوع القدوة³

¹ - تفسير الطبري، للطبري، دار المعارف. 518/11

² - التحرير والتنوير، لابن عاشور، دار سحنون، 355/7

³ - القدوة الحسنة وأثرها في تخليق الحياة العامة، د محمد جميل، درس ألقى سنة 1433 هـ، ضمن الدروس الحسينية التي تنظم في المغرب خلال شهر رمضان، وهو موجود في موقع وزارة

2- ورود لفظ القدوة في القرآن الكريم:

ترد القدوة بهذا اللفظ، وقد وردت مشتقاتها في سورتي الأنعام والزخرف، في صيغة الفعل، حيث وردت الأولى في قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)¹، والثانية في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ)². فجاءت في سياق المدح، والثانية في سياق الذم.

مدح الله تعالى في الآية الأولى الأنبياء السابقين على ما كانوا عليه من الحق والهدى، وأمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم باتباعهم باعتبارهم قدوة له في الحق، قال الطبري: (يقول - تعالى ذكره - : فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم) (اقتده يا محمد، أي: فاعمل، وخذ به واسلكه، فإنه عمل لله فيه رضا، ومنهاج من سلكه اهتدى)³

الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية:

<http://www.habous.gov.ma/dourouss>

1 - الأنعام 90

2 - الزخرف 23

3 - تفسير الطبري، للطبري، 11/519

جوان 2019

العدد: 01

المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية

د.محمد البويسفي عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

وذمّ الكافرين الذين رفضوا اتباع الحق، وفضلوا اتباع الأعمى لما كان عليه آباؤهم من غير دليل ولا برهان على صواب معتقداتهم. قال ابن عاشور في تفسير هذه الآية: (فكان هذا الكلام مسوقا مساق الذم لهم إذ لم يقارنوا ما جاءهم به الرسول وبين ما تلقوه من آباءهم فإن شأن العاقل أن يميز ما يلقي إليه من الاختلاف وعرضه على معيار الحق)¹

3- نظائر القدوة وأشباهاها في القرآن الكريم

تقتضي الدراسة المفهومية لألفاظ القرآن الكريم، دراسة اللفظ المدروس من حيث التعريف المعجمي، ثم اشتقاقاته وضمائمه ونظائره وقضاياها، وإذا نظرنا إلى أشباه نظائر لفظ القدوة، فسنجد له أربعة نظائر، هي: الإسوة، والإمام، والمثل، والاتباع. وهي متقاربة المعاني كما سنرى، وتتقاطع مع مفهوم القدوة، وتتبع وإحصاء معاني هذه الألفاظ وسياقات ورودها نخرج بتصور كلي لمفهوم القدوة وقضاياها.

ونبدأ بلفظة الإسوة، لأنها الأقرب وتكاد تكون مرادفة لها.

1- الأسوة: الإسوة بكسر الهمزة وضمها اسم لما يُؤْتَسَى به، أي: يُقتدى به ويُعمل مثل عمله.²

¹ - التحرير والتنوير، لابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس. 187/10

² - التحرير والتنوير، لابن عاشور، 302/23

د. محمد البويصري
عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

ورد لفظ الأسوة ثلاث مرات في القرآن الكريم في سورة الأحزاب مرة واحدة: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)¹.

وهنا توجيه رباني للمسلمين للتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم في جهاده وصبره وثباته على الحق. قال ابن كثير: (هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم، في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته)².

وفي سورة الممتحنة مرتين، حيث قال الله تعالى: (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده)³، وفي قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ)⁴.

الملاحظ أن لفظ الأسوة ورد في سياق إيجابي، سياق المدح لا الذم، ومقرونا بصفة الحسن، التي هي ضد القبح، وكما رأينا من قبل فإن الشرع

¹ - الأحزاب 21

² - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار طيبة، سنة 2002، 391/6

³ - الممتحنة 4

⁴ - الممتحنة 6

د.محمد البويصري
عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

الحنيف هو معيار التحسين والتقبيح. وأن أغلب سياقات ورودها كانت دعوة للتأسي بنبي الله إبراهيم عليه السلام.

2- الإمام: ورد لفظ الإمام بمعنى القدوة الذي يقتدى به، في عدة مواضع منها: قوله تعالى في سورة الفرقان: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)¹، يقول الطبري: (واجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك، ويخافون عقابك إماما يأتمون بنا في الخيرات، لأنهم إنما سألوا ربهم أن يجعلهم للمتقين أئمة ولم يسألوه أن يجعل المتقين لهم إماما).²

وقوله تعالى في سورة هود: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون)³، قال ابن كثير: (نزل الله تعالى إلى تلك الأمة إماما لهم، وقدوة يقتدون بها)⁴

وقوله تعالى في سورة البقرة: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي

¹ - الفرقان 74

² - تفسير الطبري، 320/19

³ - هود 17

⁴ - تفسير ابن كثير، 312/4

د. محمد البويصري
عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

الظَّالِمِينَ¹، قال القرطبي: (الإمام : القدوة، ومنه قيل لحيط البناء : إمام، وللطريق : إمام ; لأنه يؤم فيه للمسالك، أي يقصد. فالمعنى : جعلناك للناس إماما يأتمون بك في هذه الخصال، ويقتدي بك الصالحون. فجعله الله تعالى إماما لأهل طاعته.²

وورد لفظ الإمام بصيغة الجمع في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وكلها بمعنى القدوة، كما ورد لفظ (أمة)، في قوله تعالى: (إن إبراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من المشركين)³ بمعنى القدوة أيضاً، قال ابن كثير: (الإمام الذي يقتدى به. والقانت: هو الخاشع المطيع)⁴. وكل سياقات ورود لفظ الإمام ومشتقاته تتجه اتجاهها واحد من أعلى إلى أدنى، من القدوة والنموذج والمثل إلى الأتباع والمقتدين والمتسنين.

ج- المثل: ورد لفظ المثل في مواضع عدة من القرآن الكريم، في سياقات الخير والشر، الخير بغرض الاقتداء والاتباع، والشر بغرض الاعتبار والتحذير. كما في قوله تعالى: (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع

¹ - البقرة 124

² - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الفكر، 103/2

³ - النحل 120

⁴ - تفسير ابن كثير، 611/4

د. محمد البوسفي عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

الداخلين وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين¹

يقول أبو حيان الأندلسي في تفسير هذه الآيات: ("ضرب الله مثلا للذين كفروا "ضرب تعالى المثل لهم بامرأة نوح وامرأة لوط، في أنهم لا ينفعهم في كفرهم لحمة نسب ولا وصلة صهر(..) و"ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون" مثل تعالى حال المؤمنين في أن وصلة الكفار لا تضرهم ولا تنقص من ثوابهم بحال امرأة فرعون)². كما ورد المثل بحرف التشبيه وهو كثير في القرآن الكريم، كما قال تعالى: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ)³ وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ)⁴

د- الاتباع:

¹ - التحريم 10-12

² - تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، 292/8

³ - الأحقاف 4

⁴ - الصف 14

د.محمد البويسفي عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

الاتباع هو السير على منهج المتبوع، واقتفاء أثره، وورود هذا للفظ -باشتقاقاته المتعددة- كثير يعصب حصره في هذه الورقات، لتعدد سياقاته وقضاياها، فهو أوسع بكثير من القدوة ومن الألفاظ القريبة لها مما رأيناه من قبل، لكن يمكن أن نستنبط ضابط الاتباع وأهم شروطه من قوله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)¹، ألا وهو أن يكون الاتباع على بصيرة. وإذا القدوة والإمام والمثل تتجه من الأعلى إلى الأسفل، فإن الاتباع يتجه من الأدنى إلى الأعلى، من التابع إلى المتبوع، وشرط هذا الاتباع هو البصيرة، وليس الاتباع الأعمى. قال ابن عاشور: (والبصيرة ... وهي الحجة الواضحة، والمعنى: أدعو إلى الله ببصيرة متمكنا منها. ووصف .. والبصير: صاحب الحجة لأنه بما صار بصيرا بالحقيقة. ومثله وصف الآية بمبصرة في قوله (فلما جاءهم آياتنا مبصرة)، وبعبكسه يوصف الخفاء بالعمى كقوله (وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم)².

المحور الثاني: أسس ومقومات القدوة والاقتداء

بدراستنا للنصوص الشرعية المؤسسة لمفهوم القدوة، نستخرج أسسا ومقومات للقدوة الحسنة، تقوم وتتأسس عليها، وإذا غابت هذه الأسس

¹ - يوسف 108

² - التحرير والتنوير، 65/14

د.محمد البويصري
عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

والمقومات اختلت وفسدت القدوة، وسوف نبحت في النصوص الشرعية المؤسسة للقدوة وفيما قاله العلماء في تفسيرها.

1- أسس ومقومات القدوة:

1- الإيمان والصلاح

أول أساس للقدوة هو الإيمان بالله تعالى وتوحيده، لأن مصدر منبع الحق ومصدر الخير هو الله تعالى، وكلما آمن الإنسان بالله تعالى وحده، وجعلها مصدر الهداية، وميزان الحق، انعكس هذا الإيمان على سلوكه وجوارحه، لأن الارتواء من الهدى والمنبع القرآني، كفيل بتنوير القلب وتصفية النفوس، وتثبيت القلوب على الحق، وتقديم التضحيات. فقد قال الله تعالى في شأن الأسباب التي أهلت أبانا إبراهيم ليكون أمة وإماما في الحق: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)¹. ففي هذه الآية ما اتصف به إبراهيم عليه السلام من صفات القدوة، والتي أهمها التوحيد ونبد الشرك والقنوت لله تعالى، وهو تمام الطاعة والخضوع له والاستسلام، والشكر له على نعمه. قال السعدي في تفسير الآية: (إماما جامعا لخصال الخير هاديا مهتديا. قانتا لله أي: مديما لطاعة ربه مخلصا له الدين، حنيفا مقبلا على الله بالحب، والإنابة والعبودية،

¹ - النحل 120-122-123

د. محمد البويصري
عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

معرضا عمن سواه. وليكننا لمشركين في قوله وعمله، وجميع أحواله لأنه إمام الموحدين الحنفاء¹، فيكون القدوة جامعا لما تفرق في غيره من علامات الإيمان والصلاح والثبات على الحق، ما يثير إعجاب الآخرين وانجذابهم له، واتباعا لمنهج في الحياة عامة.

أما الشكر، فهو صفة حميدة تدل على صفاء النفس، واعتراف بالجميل، وهو صفة أصيلة في القدوة، وتتجلى وتظهر في العبادة لله تعالى صاحب النعم والفضل الكبير، والقيام بالدين والدعوة إليه وبيان الحق ونشر الخير بين الناس، ودفع الباطل والشر عنهم.

2- البذل والتضحية:

فلا يمكن للإنسان أن يكون قدوة إلا بالتضحية بالنفس، والبذل والإنفاق، من أعز ما يملك، ينفق من أعز ماله، وأعز وقته .. في سبيل دينه وعقيدته وأفكاره وأمته ووطنه، لأن القدوة استحقاق ومكرمة، تأتي بعد سعي وتضحية وبذل، ولا تنال بالبخل والعجز والكسل. فإذا نجحت في الابتلاء صرت رمزا وشامة بين الناس. وإلا فالناس تمقت البخيل والجبان، وتنفر منه، وتذمه.

¹ - تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، 907/4

د. محمد البويصري
عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

وقد تجلت هذه الصفة في إبراهيم عليه السلام، الذي بذل أعلى ما يملك في سبيل نيل رضى ربه تعالى، عندما طلب منه الله تعالى بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، فضغط على عاطفة الأبوة، ولى نداء ربه، قال تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَآبَتِ أَعْمَلُ مَاتُومُرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا)¹، وكافرا دالها اختبار قلب إبراهيم عليه السلام، فنجح في الاختبار، قال ابن عساقور: (والمقصود من هذا الابتلاء إظهار عزمه وإثبات علمه وتبته في طاعة ربه، فإن الولد عزيز على نفسه والوالد،

والولد الوحي الذي هو أمالو الدفيم مستقبلها شدة عزه على نفسه لا محالة، .. فبعد أن أقر الله عينها بجابة سؤل هو ترعرع ولدها أمرها أن يذبحه فينعدم نسله ويخيب أملها هو يزول أنسه ويتولى بيده إعدام أحوال نفوسه إليه، وذلك أعظم ابتلاء. فقبلاً مرر بها لا مثقالو حصلت حكمة اللهمنا بتلائه)² الصبر واليقين 3-

والمقصود هنا أن من كان قدوة للناس، عليه بالصبر على تحمل مشاق لزوم الطاعة، ومكاره مخالفة الشهوات، وشدائد الابتلاءات، ومعلوم أن من انتصب داعياً إلى الحق، ومحارباً للباطل، معرضٌ للأذى ومستهدف

¹ - الصفات 99-105

² - التحرير والتنوير، 150/24

د.محمد البويصري
عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

على جميع المستويات. ولذلك لما سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشد الناس بلاء؟ قال: (الأنبياء، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلَا أَمْثَلُ، فَيَبْتَلي الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتَلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ)¹. أما اليقين فهو معين على الصبر، وهو الإيمان في أعلى مستوياته، والأمل في نصر الله تعالى وموعوده. وهذه سنة الله في خلقه، سنة التدافع بين الخير والشر، بين الحق والباطل، وأن الله ينصر الثابتين على الحق والصابرين على أذى الباطل، ومشاق طريق الله، قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)²، وسياق الآية الحديث عن بني إسرائيل الذين جعل الله منهم أئمة يهدون إلى الحق، وذلك ببيان الشريعة والكتاب، وتوظيف العلم الذي علمهم الله في إخراج الناس من ظلمات الباطل إلى نور الحق، فجزاهم الله بأن جعلهم قدوة للناس وأئمة لهم في الخير، قال ابن عاشور: (وفي هذا تعريض بالبشارة لأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأنهم يكونون أئمة لدين الإسلام وهداة للمسلمين إذ صبروا على ما لحقهم في ذات الله من أذى قومهم وصبروا على مشاق التكليف ومعاناة أهلهم وقومهم وظلمهم إياهم)³. وفي عبارة جامعة مانعة

¹ - سنن الترمذي، رقم الحديث 2398

² - السجدة 24

³ - التحرير والتنوير، 237/22

د. محمد البويصري
عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

مبينة لمعنى الآية رواها ابن القيم عن شيخه ابن تيمية: (بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين).¹

2- أسس ومقومات الاقتداء:

أما بالنسبة للاقتداء وهو طلب المماثلة في القول والعمل والهيئة، فله مقومان بينهما الآية الكريمة: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)². رجاء الله واليوم الآخر، وذكر الله تعالى، حتى تتحقق الاستفادة من القدوة، وتنجح عملية الاقتداء، وهو خطاب موجه لمن يبحث عن نموذج الكمال، والباحث عن الرمز الصالح.

أ - الرجاء في الله تعالى والخوف منه

فقد قال العلماء في تفسير قوله تعالى: (لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)³، بتفاسير كثيرة لكنها تصب في المعاني الآتية: لمن كان منكم يرجو لقاء الله، وثوابه، والنجاح في اليوم الآخر⁴، والإيمان بالله واليوم الآخر⁵، فليس ينتفع بالقدوة من له غاية أخرى غير البحث عن

¹ - مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، الجوزية، دار الكتاب العربي،

سنة 1996، 153/2

² - الأحزاب 21

³ - الأحزاب 21

⁴ - تفسير الطبري، 320/23

⁵ - التحرير والتنوير، 149/29

د. محمد البويصري
عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

الطريق الموصل إلى الله تعالى، وإلى مغفرته وثوابه، ورحمته في اليوم الآخر،
وخلاصة الأمر: ضرورة إخلاص النية وسلامة القصد.

ب- الإكثار من ذكر الله تعالى

ويدخل ضمن ذكر الله تعالى عبادة الله والمداومة عليها،
واستحضاره عز وجل في كل حين وعلى كل حال، قال الزمخشري في
تفسير الآية: له طاعات كثيرة والأعمال الصالحة¹، وقال القرطبي: ذكر الله
خوفاً من عقابه، ورجاء لثوابه². والمقصود يقظة القلب بذكر الله تعالى،
وعدم الغفلة عنه، والاستقامة على طريقه عز وجل. إذا كان المقتدي يطلب
المعالي، فلا بد من علو الهمة، وسلامة القصد، وملازمة الطاعة، ومجاهدة
النفس.

المحور الثالث: منهج الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم

بالنظر إلى نصوص القدوة المدروسة في المحور الأول، نلاحظ أن
القدوة محصورة في الأنبياء والصالحين، وأهم نبي من الأنبياء السابقين جاءت
الدعوة إلى الاقتداء والتأسي به، هو نبي الله إبراهيم عليه السلام، أبو الأنبياء،
ومن المتأخرين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي جُمع فيه ما تفرق من
فضائل السابقين واللاحقين، وشكّل نموذج الكمال البشري، كما جمعت

¹ - الكشف، للزمخشري، مكتبة العبيكان، سنة 1998، 5/59

² - تفسير القرآن، القرطبي، دار الفكر، 14/143

د.محمد البويصري
عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

رسالته ما تفرق في الشرائع السماوية السابقة. قال ابن عاشور: (وقوله فبهذا هم اقتده تفرع على كمال ذلك الهدى، وتخلص إلى ذكر حظ محمد صلى الله عليه وسلم من هدى الله بعد أن قدم قبله مسهباً ذكر الأنبياء وهديهم إشارة إلى علو منزلة محمد صلى الله عليه وسلم وأنها منزلة جديرة بالتخصيص بالذكر حيث لم يذكر مع الأنبياء المتقدمين، وأنه جمع هدى الأولين، وأكملت له الفضائل، وجمع له ما تفرق من الخصائص والمزايا العظيمة).¹

فاستحق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يكون القدوة الحسنة لكل باحث عن الحق، ولكل باحث عن الكمال، فقال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا).²

وإذا كان قدوتنا صلى الله عليه وسلم بهذه المكانة والمنزلة، كان حري بالمؤمن المقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم، والمتبع له أن يسلك المنهج السليم في الاقتداء به.

ذلك أن المنهج الصحيح للاقتداء، يجعل الاتباع والاقتداء سليماً وموزوناً بميزان الشرع، لا غلو فيه ولا تفريط، وكم زلت أقدام وأخطأت الطريق، لا بسبب النية والقصد، ولكن بمجانبة الصواب في المنهج والطريقة. ولذلك

¹ - التحرير والتنوير، 355/7

² - الأحزاب 21

د. محمد البويصري
عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

معرفة منهج الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، يقي السالك من الوقوع في المهالك. ونقترح هنا خطوات منهجية في الاقتداء السليم، جملها في: الإيمان والحب والاتباع والدعوة. وتفصيل ذلك فيما يلي:

1- الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم معرفة شمائله:

أول خطوة في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم الإيمان به نبيا مرسلا من عند الله تعالى، وتصديقه فيما أتى به من شريعة وعقيدة وأخلاق، قال تعالى: (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا) ¹ وقال تعالى: (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ²، وهذا أمر صريح من الله تعالى بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وتصديقه فيما جاء به، وقد تنوعت الله تعالى مكذبي النبي والكافرين به بالعذاب الشديد يوم القيامة فقال تعالى: (وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا) ³. قال القاضي عياض: (والإيمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالة الله له، وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق

¹ - التغابن 8

² - الأعراف 158

³ - الفتح 13

د. محمد البويسفي عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

بالشهادة بذلك باللسان تم الإيمان به¹. ولا يتم الإيمان به صلى الله عليه وسلم إلا بمعرفته حق المعرفة.

فمعرفة النبي صلى الله عليه وسلم شرط واجب في الاقتداء به، وعلى قدر المعرفة يكون الحب ويكون الاتباع ويكون الاقتداء. ولأن الإنسان عدو ما جهل، فيكون التعرف على النبي صلى الله عليه وسلم الخطوة الأولى على الطريق الصحيح، ولا سبيل لمعرفة الدين بعقائده وشرائعه وقيمه، إلا عن طريق معرفة حياة النبي صلى الله عليه وسلم، معرفة سيرته وسنته وشريعته وشمائله.

والوقوف على أخلاقه صلى الله عليه وسلم، يجعل المرء في غاية الإعجاب والانبهار والانجذاب إلى شخصيته صلى الله عليه وسلم. كيف لا وقد مدح الله تعالى أخلاقه فقال عز وجل: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)²، وقالت عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كان خلقه القرآن)³، وقال عنه خادمه أنس رضي الله عنه: (كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً)⁴. فمن تعرف على أخلاقه وشمائله سوف يُعجب به ويحبه،

¹ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، دار الفكر - بيروت سنة 2010. ص

² - القلم 4

³ - رواه مسلم رقم الحديث 746

⁴ - رواه مسلم، كتاب الفضائل، رقم الحديث 2310

د. محمد البوسفي عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم: المفهوم والمقومات والمنهج

وكثير من المواقف تصدر من الناس نتيجة الجهل بسيرته وأخلاقه صلى الله عليه وسلم. حتى المنصفون من المستشرقين يعترفون بفضله عند قراءتهم ومعرفتهم به صلى الله عليه وسلم، يقول عنه الأديب الإنجليزي جورج برنارد شو: لقد درست محمداً باعتباره رجلاً مدهشاً، فرأيت به بعيداً عن مخاصمة المسيح، بل يجب أن يُدعى منقذ الإنسانية، وأوروبا في العصر الراهن بدأت تعشق عقيدة التوحيد، وربما ذهبت إلى أبعد من ذلك؛ فتعرف بقدرة هذه العقيدة على حلّ مشكلاتها، فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي¹، ويقول عنه المستشرق وليم موير: (ومهما يكن هناك من أمر فإن محمداً أسمى من أن ينتهي إليه الواصف، وخبيرٌ به مَنْ أمعن النظر في تاريخه المجيد، وذلك التاريخ الذي ترك محمداً في طليعة الرسل ومفكري العالم)²، ولا مجال لسرد شهادات المنصفين من المستشرقين.

2- طاعته واتباعه صلى الله عليه وسلم

وهذه ثاني خطوة في طريق الاقتداء به صلى الله عليه وسلم، وهي علامة صدق الإيمان به صلى الله عليه وسلم، وطاعته واجبة بالقرآن حيث قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ³)، وقال تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)¹،

¹ - الرسول صلى الله عليه وسلم في عيون غربية منصفة، الحسيني الحسيني معدي: ص 70.

² - عبد موسوعة المستشرقين، الرحمن بدوي: ص 578

³ - النساء 59

وقرن سبحانه وتعالى طاعته بطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال: (مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ²)، قال ابن تيمية: (وقد أمر الله بطاعة رسوله في أكثر من ثلاثين موضعاً من القرآن، وقرن طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته؛ كما قرن بين اسمه واسمه، فلا يذكر الله إلا ذكر معه)³، وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم تتجلى في التزام سنته والتسليم لما جاء به، لذلك قال العلماء: ما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه، وقالوا: من يطع الرسول في سنته، يطيع الله في فرائضه.⁴

وما يقال عن طاعته صلى الله عليه وسلم يقال عن اتباعه، فالإقتداء يكون بالاتباع والامتثال للسنة الشريفة، والاهتداء بهديه صلى الله عليه وسلم. وقد أوجب الله تعالى اتباع سنة نبيه، فقال تعالى: (فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ⁵ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)⁵، وجعل سبحانه وتعالى اتباع نبيه سبب لنيل محبة الله تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ⁶)، وحذر الله

¹ - آل عمران 133

² - النساء 80

³ - مجموع الفتاوى، لابن تيمية، مجمع الملك فهد، سنة 1995، 103/19

⁴ - الشفا، للقاضي عياض، ص 151

⁵ - الأعراف 158

⁶ - آل عمران 31

د. محمد البويصري
عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

تعالى من مخالفته صلى الله عليه وسلم: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)¹. فطاعة النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه في سنته وأخلاقه لب الاقتداء والاهتداء، وسبيل الفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة.

ج- محبته وتعظيمه صلى الله عليه وسلم:

محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه مرتبة عليا من الإيمان، وهي نتيجة لمعرفة: أخلاقه العظيمة، وسنته الطاهرة، ورسالته الرحيمة، وحبه لأئمة وفضله على البشرية جمعاء، فهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير..، ومحبته صلى الله عليه وسلم نتيجة لاتباع سنته والسير على منهاجه والعيش في ظلال الإيمان والطاعة، حتى تصفو النفس وتسمو الروح، وتتعلق بالعالم العلوي، فتتعلق بالله تعالى، وبنبيه صلى الله عليه وسلم، فيذوق المؤمن الحب حلاوة الإيمان. فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيهن جد بهن حلاوة الإيمان من كان للهو رسولها أحب إليهم ما سواهم ما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعوذ في الكفر بعد أن أنقذه الله منهم كما يكره أن ينفذ في النار)²، ثم إن للمحبة علامات تدل على صدق الادعاء، فقد قال ابن رجب: (فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه، أوجب له

¹ - النور 63

² - صحيح مسلم، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان رقم الحديث 43

د. محمد البويسفي عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضى ما يرضى الله ورسوله، ويسخط ما يسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض، فإن عمل بجوارحه شيئاً يخالف ذلك، فإن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله، مع وجوبه والقدرة عليه، دل ذلك على نقص محبته الواجبة، فعليه أن يتوب من ذلك، ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة).¹

ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم أهم شرط الاقتداء وأقرب طريق الاهتداء، فالمحب يقتفى أثر الحبيب ويسير في طريقه، ويلزم سنته، قال ابن القيم في المدارج: (فإذا صدق العبدُ محبةَ الرسول صلى الله عليه وسلم، واستولت روحانيته على قلبه، جعله إمامه ومعلمه وأستاذه وشيخه وقدرته، كما جعله الله نبيه ورسوله وهادياً إليه، فيطالع سيرته ومبادئ أمره وكيفية نزول الوحي عليه، ويعرف صفاته وأخلاقه وآدابه، في حركاته وسكونه ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لأهله وأصحابه، حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه)²، ثم إن محبة النبي صلى الله عليه وسلم تستلزم تعظيمه صلى الله عليه وسلم، وتوقيره، وتعظيم سنته وأصحابه رضوان الله عليهم.

¹ - جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، مؤسسة الرسالة، سنة 2001، 2/ 396-397

² - مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، الجوزية، دار الكتاب العربي، سنة 1996، - 252

د. محمد البويسفي عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

د- النصيحة له ونشر دعوته صلى الله عليه وسلم
إذا حصلت المعرفة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وتحققت محبته،
وتمت طاعته واتباعه، لزم نشر دينه وإحياء سنته، ونصرتة صلى الله عليه
وسلم، ورد الشبهات عنه. وهذا من تمام الاقتداء به صلى الله عليه وسلم.
وقد أوجب الله تعالى على المسلمين المتبعين للنبي صلى الله عليه وسلم نشر
دعوته، فقال تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن
اتبعني)¹، قال ابن عاشور: (وفي الآية دلالة على أن أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين الذين آمنوا به مأمورون بأن يدعوا إلى الإيمان بما
يستطيعون . وقد قاموا بذلك بوسائل بث القرآن وأركان الإسلام والجهاد
في سبيل الله. وقد كانت الدعوة إلى الإسلام في صدر زمان البعثة المحمدية
واجبا على الأعيان لقول النبي صلى الله عليه وسلم : بلغوا عني ولو آية أي
بقدر الاستطاعة. ثم لما ظهر الإسلام وبلغت دعوته الأسماع صارت الدعوة
إليه واجبا على الكفاية كما دل عليه قوله
تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير .² (وفي زمننا هذا الحاجة ماسة والكفاية
لم يتحقق بعد، فوجب على المسلمين بذل الجهد في نشر دعوة النبي صلى
الله عليه وسلم، والتعريف سيرته وسنته، وتوظيف وسائل التواصل الحديثة

¹ - يوسف 108

² - التحرير والتنوير، 65/14

د. محمد البوسفي
عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

في الدعوة والتبليغ. وهذا دَين على المقتدي والمتبع وفاء للحبيب النبي القدوة صلى الله عليه وسلم.

خاتمة:

في نهاية هذا البحث ألخص ما جاء فيه من عناصر أولها أن الأمة في حاجة ماسة إلى القدوة الحسنة، ثانيها أهمية التربية بالقدوة والنموذج، ثالثها: أن مفهوم القدوة في القرآن الكريم مفهوم واسع، يشمل الإِسوة والإمام والمثل...، ويعني النموذج والمثال الأعلى، وأن الاقتداء هو طلب المماثلة والاتباع، كما أن أسس ومقومات القدوة تتلخص في الإيمان والصلاح والتضحية والبذل والصبر واليقين، وأما الاقتداء فمقوماته تتلخص في الرجاء في الله واليوم الآخر وذكر الله تعالى، والنسبة لمنهج الاقتداء فيبدأ بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم معرفة شمائله، طاعته واتباعه، ومحبته وتعظيمه، وأخيرا النصيحة له ونشر دعوته صلى الله عليه وسلم.

لائحة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

- (1) أعضاء البيان للشنقيطي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (2) التحرير والتنوير، لابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
- (3) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار إحياء التراث العربي،

د. محمد البويسفي عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

- 4) تفسير الطبري، للطبري، دار المعارف.
- 5) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار طيبة، سنة 2002،
- 6) تفسير القرآن، القرطبي، دار الفكر،
- 7) تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي،
907/4
- 8) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، مؤسسة الرسالة، سنة
2001،
- 9) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الفكر،
- 10) الرسول صلى الله عليه وسلم في عيون غربية منصفة، الحسيني
الحسيني معدي
- 11) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، دار الفكر -
بيروت سنة 2010.
- 12) الكشف، للزمخشري، مكتبة العبيكان، سنة 1998،
- 13) لسان العرب، لابن منظور، مادة قدا - دار صادر - بيروت -
الثالثة - 1414 هـ .
- 14) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، مجمع الملك فهد، سنة 1995،
- 15) مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، الجوزية،
دار الكتاب العربي، سنة 1996،

د.محمد البويصري
عنوان المقال: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:
المفهوم والمقومات والمنهج

- 16) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مجلد 1 ، القاهرة، 1960
سنة.
- 17) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، دار الجيل، سنة
النشر: 1420هـ / 1999م .
- 18) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان
الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروتالطبعة: الأولى -
1412هـ.
- 19) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، ط 2،
- 20) موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي
- 21) محمد محمود مندوه، نظريات التعليم، مكتبة الرشد، الرياض،
2011م.